إذا دخلت الرشوة خرجت الأمانة

عنوان هذه الخطبة: "إذا دخلت الرشوة من الباب خرجت الأمانة من الكوة".

وإليكم صور من صور جريمة الرشوة في زمننا هذا، والتي أصبحت تتنامى بشكل مخيف، حتى كادت تتحول إلى ظاهرة تفسد دين الناس وأموالهم وأعراضهم وأنفسهم:

١- **أحدهم له زوجة أو بنت معلمة في منطقة نائية**، وقدّم رسميا لنقلها إلى مدينته وطرق القنوات الصحيحة لنقلها، ففوجيء أن من بعدها ومن هو أقل منها كفاءة ينتقل قريبا من أهله، وهي لا زالت لم يؤذن لها في النقل، فحاول واستجدى وطالب كثيراً ولا نتيجة، وإذا بأحدهم يلتقيه ويقول تريد نقلها: ادفع ١٠٠٠٠ريال، ولك ألا تدرس إلا في المدرسة التي بجانبكم.

٢- شاب تخرج من المرحلة الثانوية بتقدير مناسب أو قريب منه، فقدّم يمينا فلم يجد وقدم شمالاً فلم يلاقي، وطرق أبواب الجامعات والمعاهد والدوائر العسكرية والمدنية ونحوها، ولا حياة لمن تنادي، فأتاه أحدهم فقال: هل تدفع ٢٠٠٠٠ريال وأوجد لك وظيفة في المكان الفلاني، فلا يمر إلا أسبوع أو شهر أو نحوه حتى يتقلد هذا

العمل ويحتمل ألا يكون كفءً له أو ليس من تخصصه أو أن هناك من هو أولى به منه.

٣- **أحدهم فعل قريبه جناية وسجن**، فيذهب أبوه إلى موظف ويهدي له أو يقدم له خدمة أو أن الأب في محل مرموق ومسئولية كبرى، فيقول ذلك الموظف أخدمه الآن ليخدمني إذا احتجت إليه، ويخرج الجاني من السجن ويفلت من العقوبة.

٤- **في سوق الفاكهة والخضروات**، يخاف صاحب البضاعة أن يكشف المراقب الفساد الموجود فيها أو مخالفة نظام الدولة، فيجهز له بعض الصناديق الجيدة، فإذا مرّ به رحب به وسلمها إليه، وسكت المراقب على خطئه، وإن لم يفعل تتبعه في كل شيء ليلزمه المرة القادمة بالرشوة.

٥- **أحدهم جعل عليه شرط جزائي**، بسبب مخالفة في بناء ونحوه، فسمع أن فلاناً تخلص منها برشوة فيتخلص منها بذلك.

٦- **أحد التجار له بضاعة في الميناء**، ويريد تخليصها فيجد الموظف قد أخّر المعاملة والتاجر يعلم أن البضاعة إذا تأخرت إلى وقت كذا، فرضت عليها الدولة مبلغاً كأجرة للمكان الذي عليه بضاعته، فهو بين أمرين أحلاهما مرّ إما أن يدفع الرشوة للموظف ويستخلص بضاعته أو أنه يكون نزيهاً فيدفع الأجرة للميناء فترة تضر به وببضاعته وبالسوق.

٧- **بعض شركات صناعة العلاج تعرض على الطبيب علاجها وتقدّم له هدية**، كجوال أو حاسب محمول أو كمية معينة من العلاج من أجل أن يصرف هذا الدواء لمرضاه، وأما إذا لم تعطه الشركة هدية فإنه لا يصرف هذا العلاج من تلك الشركة، ولو كان ذلك الدواء أنفع للمريض، وهنا تحاصر الشركة فلا تجد أمامها حلا إلا دفع الرشوة لأولئك الأطباء الذين باعوا أمانتهم.

٨- **بعض الطلاب يحضر هدايا أو وجبات إفطار للمعلمين** قبل وضع أعمال السنة وقبل تحرير أسئلة الاختبار من أجل أن يسهل المعلم أسئلته.

٩- **تكون هناك مناقصة وكان الأولى أن ترسو لفلان**؛ لأنه يستحقها وهنا تدخل الرشوة لتغير مسارها، فيأخذها من لا يستحقها.

١٠- **مندوبو الشركات يستأجر أرضاً مثلاً ويرفع الإجارة**، ثم يطلب بعد إغراء صاحب الأرض أن العام الأول من هذه الإجارة له.

١١- **يكتشفون في بعض المطاعم مخالفات**، مثل وساخات وصراصير وأطعمة قد تعفنت، ومأكولات لا تصلح كطعام للإنسان بل أحياناً للحيوان أو عمالة غير مؤهلة لطبخ الأطعمة أو عمالة قد تقذرت أجسادها وملابسها بالزيوت ونحوها، فيغلق المحل بالشمع

الأحمر، وهنا يأتي دور الرشوة لفتح المحل وكأن شيئاً لم يكن، وكأن صحة المسلم لا تهم ذلك الموظف الخائن إنما يهمه ما أدخل في جيبه من الرشوة الحرام.

وكل هؤلاء يظنون أنهم على صواب، وأنه لا إثم عليهم بينما الإثم على المرتشي فقط، والحق أن المرتشي ملعون والراشي ملعون فليتق الله الجميع.

أيها المسلمون: قد يتوهم البعض أن عامة الموظفين على هذه الشاكلة، ولم أقصد هذا أبداً؛ بل إن الفئة السيئة التي تتعامل بهذا الشر إنهم إلا شرذمة قليلون لا يساوون شيئاً أمام غالب الموظفين الذين يتسمون بالنزاهة والأمانة، ولكن هذه الشرذمة بدأت تتسع دائرتها ويكثر عددها وتتجدد طرائقها، وكل إنسان يعلم من أي الفئتين هو.

ولم أقصد بكلامي هذا بلداً دون بلد أو مدينة دون أخرى أو دائرة دون دائرة، إنما هو حديث عن جميع الأمة.

عباد الله: الرشوة حرام حرمها الله في كتابه، وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، كما يحرم طلب الرّشوة، وبذلها وقبولها، ويحرم عمل الوسيط بين الرّاشي والمرتشي

فقد حرم الله الرشوة في القرآن في ثلاثة مواضع:

الموضع الأول: في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. فالرشوة من أكل المال بالباطل المرتشي نائب عن الحاكم،

فيأكل أموال الناس بالإثم، وقد أمنه الحاكم على هذا العمل فيخون أمانته، ويبيع ذمته بعرض من الدنيا قليل.

الموضع الثاني: المرتشي منافق متشبه بالمنافقين فقد وصفهم الله بقوله: ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾. والرشوة سحت يأكله العبد حراماً وكل لحم نبت من سحت فالنار أولى به.

الموضع الثالث: المرتشي متشبه باليهود؛ لأنه موافق لطبيعتهم في الرذيلة، قال تعالى في اليهود: ﴿وَتَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. إنما هي خصلة نشأت من اليهود المستحقين للعنة؛ فإذا سرت إلى أهل الإسلام استحقوا من اللعن ما استحقه اليهود.

وأما من السنة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لعنة الله على الراشي والمرتشي". رواه ابن ماجه.

وفي رواية: "والرائش"، أي وهو الساعي بينهما يستزيد هذا ويستنقص هذا.

والنبي صلى الله عليه وسلم، استعمل رجلا من بني أسد يقال له ابن اللتبية على صدقة، فلما قدم قال: هذا لكم وهذا لي؛ فقام النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر فحمد الله عليه ثم قال: "ما بال العامل نبعثه فيأتي فيقول: هذا لك وهذا لي؛ فهلا جلس في بيت أبيه وأمه ينتظر أيهدى له أم لا! والذي نفسي بيده لا يأتي بشيء إلا جاء به يوم القيامة يحمله

على رقبته إن كان بعيرا له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة لها تيعر"، ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتي إبطيه: "ألا هل بلغت؟ ثلاثا. متفق عليه.

وقال رسول لله صلى الله عليه وسلم: "يا أيها الناس من عمل منكم لنا على عمل فكتمنا فيه مخيطا فما فوقه فهو غلّ يأتي به يوم القيامة"، فقام رجل من الأنصار أسود كأني أنظر إليه فقال: يا رسول الله! أقبل عني عملك، قال: "وما ذاك؟" قال: سمعتك تقول كذا وكذا، وقال: "وأنا أقول ذلك؛ من استعملناه على عمل فليأت بقليله وكثيره؛ فما أوتي منه أخذ وما نهى عنه انتهى". رواه مسلم.

وعن أبي حميد الساعدي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هدايا الأمراء غلول". رواه الطبراني في المعجم.

وقال كعب: قرأت في بعض ما أنزل الله تعالى على أنبيائه: الهدية تفقأ عين الحكيم، إذا دخلت الرشوة من الباب خرجت الأمانة من الكوة.

وقال قتادة: الرشوة تسفه الحليم وتعمي عين الحكيم.

*** *** ***

الخطبة الثانية:

وللرشوة مضار ومفاسد عظيمة: ومنها:

١- **يفقد المجتمع الثقة في الحكم**، فلا يعول أحد على منهج القضاء والتحاكم لأخذ الحق، وعندئذ فلا يكون أمام المظلوم إلا أن ينتقم لنفسه، ولا عند صاحب الحق إلا الاحتيال لأخذ حقه بيده.

٢- **إعطاء الفرصة والتمكين لكل مبطل ليتمادى في باطله؛** فتسلب الأموال وتنتهك الأعراض وتسفك الدماء بدون أي مبالاة؛ تعويلا على أنه سيعبر على جسر الرشوة دون أن يلقى جزاءه.

٣- **تعطيل الأعمال بغية بذل الرشوة.** وبالتالي تكديسها وعدم إنجازها. ويترتب عليه كساد العمل في البلد، وقلة الإنتاج والمضرة على المجتمع بكامله.

٤- **قد تكون في إجراء تعاقد مع العاملين،** فقد يتعاقد مع غير الأكفاء بسبب ما يقدمونه من الرشوة، ويترك الأكفاء لتعففهم وعزة نفوسهم، واعتدادهم بكفاءتهم. وقد يكون في إرساء عطاء لمشروع أو في الإشراف عليه؛ فيتعاطف المرتشي مع الأقل كفاءة وإمكانيات وأسوأ معاملة، وتكون النتيجة على رأس المجتمع، فقد يكون مشروع إسكان أو مدّ جسور فينهار هذا أو ينكسر ذاك، والضحية من المجتمع.

٥- **الرشوة تطرد صاحب التخصص والمتقن والمتفنن والماهر،** وتحضر صاحب المال وفاسد النية.

٦- **إذا تولى وعلم أن توليته عن طريق الرشوة،** فإنه يظن أن هذا الطريق الأسلم فلا يولي هو أحداً إلا بالرشوة، وهنا تتنامى الرشوة وتضرب بأطنابها في كل مكان، ثم تحدث عن الفساد الإداري في البلد ولا حرج.

٧- وقد قال صلى الله عليه وسلم: "أيما رجل استعمل رجلا على عشرة أنفس وعلم أن في العشرة من هو أفضل منه فقد غش الله ورسوله وجماعة المسلمين". ذكره ابن حجر في المطالب العالية.

وقال: "ما من وال يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم إلا حرم الله عليه الجنة". رواه البخاري.

وأي غش أعظم من غشهم بالرشوة والواسطة المحرمة، وقال في تولية الأعمال والوظائف: إنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذ بحقها وأدى الذي عليه فيها" والمرتشي لم يؤد الحق الذي عليه فيها فهي خزي وندامة.

٨- **المرتشي خسران فكما أنه يحقق أطماع الآخرين بالرشوة،** فلن يستطيع تخليص معاملاته وحقوقه إلا بها، فقد خسر مرتين خسر عندما أكل الرشوة والحرام، وخسر عندما أصبح لا يخلص أعماله إلا بالرشوة.

ومنها ما في الخبر: (إن العبد ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل الله عمله أربعين يومًا، وأيُّما عبد نبت لحمه من سحت فالنار أولى به). رواه الطبراني.

٩- **إن إعراض البشرية عن هدي الأنبياء- عليهم الصلاة والسلام- قد جعل التقدم العلمي يقترن بالمزيد من انتشار**

الفاحشة، والانحلال الخلقي وإدمان المخدرات وفشو الرشوة، والنهب المنظم، والتزوير والغش.

١٠- **الرشوة تقلب الحق باطلا والباطل حقا**، حتى يصبح الحصول على الضروريات الحياتية لا يتهيأ إلا عن طريق الرشوة أو اللصوصية والنهب، ويضعف الحس الاجتماعي حيال هذه المحرمات وحينها يقل الشريف في هذا المجتمع الذي تسوده الفوضى، وشرفه يصبح عقوبة له، ويجعل مصالحه في مهب الريح، وجهاده في غير عدو.

عباد الله: إني أقولها بصراحة إذا لم تهب مؤسسات المجتمع الرسمية والأهلية، وإذا لم يقف الناس في وجهها ويحاربوها ويتعاضدون في مواجهتها، فإنها ستنتشر وتضرب بأطنابها، حتى نقول بعد سنوات سقى الله عام ١٤٤٤هـ وما قبله، فما أقل المرتشين فيه، أما اليوم فلا نعيش إلا بالرشوة ثم ترى الفساد قد ضرب بأطنابه في كل مكان، ففسد الرجال والنساء والشباب، وحتى يصبح الأصل في الناس هو الرشوة ومن لم يرتش فهو غريب، وهذه مصيبة عافانا الله جميعاً منها.

وهنا مسائل حول الرشوة:

١- الرشوة لإبطال حق أو إحقاق باطل، فيرشي ليأكل مال فلان أو أرض فلان بغير حق فالراشي والمرتشي ملعون، وقد ذهب العلماء إلى وجوب عزل الموظف الذي يأخذ الرشوة؛ لأنه فاسق وغاش لعمله.

٢- بذل الرشوة للحصول على منصب أو دراسة أو عمل، فهذا حرام بلا إشكال والاثنان مستحقان للعنة النبي صلى الله عليه وسلم.

٣- الهدية تكون رشوة إذا كانت لموظف لك عنده حاجة أو يحتمل أن يكون لك عنده حاجة، فتتزلف إليه بتقديم الهدية، فإذا جاءت حاجتك ذكرته بتلك الهدية أو تذكرها فجامل على حساب أمانته.

٤- ومنها الهدية لأجل أن يشهد معك فهذا حرام ورشوة.

٥- الواسطة فيها تفصيل فإن كانت نفعا محضا لمن تتوسط له فتؤجر عليها لحديث "اشفعوا تؤجروا". رواه البخاري.

وإن كان فيها ضرر بالغير فهذا حرام وظلم كالتسابق على وظيفة أو مناقصة أو دراسة.

٦- إذا توسط لك أحدهم بدون إضرار بالغير فهذا جائز بشرطين:

- **لا يطلب لنفسه مالاً مقابل واسطته.**
- **لا تهدي له هدية بعدما توسط لك لحديث:** من شفع لأخيه شفاعة فأهدى له هدية عليها فقبلها منه فقد أتى بابا عظيما من أبواب الربا.

وسئل ابن مسعود عن السحت فقال: هو أن تشفع لأخيك شفاعة فيهدي لك هدية فتقبلها. فقال له: أرأيت إن كانت هدية في باطل. فقال: ذلك كفر ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون.

٧- قد لا تكون الرشوة مالا ونقودا؛ بل قد تكون منافع كأن يقرضه قرضا؛ وهذا ربا ورشوة أو يقدم له خدمات فهذه رشوة، ومنها أحل مشكلتك في دائرتي وتحل لي مشكلتي في دائرتك.

٨- كل ما توهمت أنه من الرشوة أو طريق إلى الرشوة فأغلقه وابتعد عنه سداً للذريعة، ولئلا تأكل إلا حلالاً واحتياطاً لنفسك.